

احتضار مهنة

للدكتور حامد طاهر

---

الأسطى سلامة

واحد من أمهر ترزية المبدل فى مصر

ورث محله بشارع الدرب الأحمر

أبا عن جد

وهذا يعنى أنه نشأ فى المهنة ،

وتشربها منذ الصغر

وقد أخبرنى أنه كان يقوم بلضم الابر ،

وتثبيت الأزرار ،

وكى البطانة ،

ويداحظ باهتمام أباه وجدده

وهما يقصان القماش

ويجريان البروفات على المزيائن ..

---

وكان الأسطى سلامة يفتخر كثيرا

بأنه زاد ماكينات الخياطة

اشنتين أخريين

فأصبح لديه ثلاث ماكينات

يعمل عليها ثلاثة أسطوات متخصصين

بالإضافة إلى عدة صبيان

يساعدون في أعمال المحل

وجلب المشاي من المقهى المجاور

وكان هذا يحدث أثناء فترة المازدهار

---

وقد توطدت صلتى بالأسطى سلامة

ليس من خلال تفصيل بدلة عنده ..

وإنما نتيجة مرورى عليه

فى المذهب والعودة

حيث كان يدعونى إلى المجلس معه

وخاصة حين يكون الجو هادئا

والعمال فى وقت الراحة .

---

ومع مرور الزمن

الذي لا يترك شيئا ولا أحدا على حاله

لاحظت أن اثنين من الأسطوات غير موجودين

وحين سألتته ، أجاب بأسى :

— لقد ذهبا للبحث عن رزقهما فى مهنة أخرى

ثم أضاف متحسرا :

— والواقع أننى أهدرهما

فإن مهنتنا هذه تحتضر !

حاولت أن أسرى عنه ، فقلت :

— عموما أنت أسطى كبير

والزبائن يقدرّون صنعك

ويأتون إليك من الأحياء البعيدة .

— أنا معك ، لكن المهنة تتطلب

الكثير من الأيدي الماهرة ،

كذلك فإن البديل المجهزة غمرت السوق

وأسعارها أرخص بكثير من التفصيل

ثم تنهد بعمق ، وقال :

— وهذا كله أيام كانت الزبائن .. زبائن !

سكت برهة ، ثم سألته :

— وماذا أنت فاعل ؟

— أفكر جدّيا في تصفية المحل

وأضع ما يتحصل منه في وديعة بنكية

أنفق منها مع الحاجة

حتى يتولانا الله برحمته

— وهل عرضت المحل على أحد ؟

— هناك عرض لنا بأس به

من تاجر مستلزمات محمول ..

وفجأة وقع بصرى داخل المحل

فوجدت ماكينتى الخياطة

ملفوفتين بغطاء من البلاستيك

ولما يوجد عامل أو صبي واحد

وحين دقت النظر فى وجه الأسطى سلامة

رأيت الكثير من المتجاعيد العميقة

وكاد جلده يصبح بلا لون

أما أصابع كفيّ المعروقتين

فكانت في نفس قوتها المسابقة

---

بعد عدة أيام

مررت على المحل فوجدته مغلقا

وعليه ورقة صغيرة

اقتربت منها فقرأت نعي الرجل

وموعد العزاء

توقفت لقراءة الفاتحة ترحما على روحه

التي فاضت إلى بارئها

قبل أن يبيع المحل

الذى ورثه عن أبيه عن جده

وقبل أن يشهد احتضار مهنته



